مجلة السلام العلمية
ISSN:2788-6336

إمارة الأغالبة دراسة في نشأتها تحت الخلافة العباسية، وبنيتها السكانية، وأبرز أمرائها

د. علي بالقاسم راشد الحرابي
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي.

ملخص البحث:

حَكَمَ الأغالبةِ في إفريقيةَ بين عامي (184هـ –296هـ) (800–909م)، وذلك بعد فترةٍ شهد فيها المغربُ الإسلاميُّ اضطراباتٍ سياسيّةً وثوراتٍ متلاحقةً. وقد جاء وصولُهم إلى السُّلطةِ بدعمٍ من العباسيين، ضمن تبعيّةٍ سياسيّةٍ اتّسمتْ بالتوازنِ بين الولاءِ الرمزيّ للخلافةِ والاستقلالِ الفعليّ في إدارةِ شؤونِ البلادِ.

تَعاقبَ على حُكمِ الدولةِ مجموعةٌ من الأمراءِ، تباينتْ أوضاعُهم بين الازدهارِ والفوضى. ويُعدّ زيادَةُ اللهِ الأوّلُ أبرزَ هؤلاءِ الأمراءِ، إذ شهدتِ الدولةُ في عهدِهِ استقرارًا ملحوظًا ونهضةً اقتصاديّةً متميّزةً.

واجهتْ إمارةُ الأغالبةِ تحدّياتٍ كبيرةً من دُولٍ مجاورةٍ مثلَ الدولةِ الرستميّةِ والطولونيّةِ، فضلًا عن الاضطراباتِ الداخليّةِ التي نشبتْ بين أفرادِ الأسرةِ الحاكمةِ، انتهتْ بسقوطِ الإمارةِ على يدِ الفاطميّين سنةَ ٢٩٦هـ، وفرارِ آخرِ حُكّامِها، زيادةَ اللهِ الثالثِ، إلى الشامِ.

تنطلقُ هذهِ الدراسةُ من طرحِ تساؤلينِ رئيسيّينِ: كيف أثّرتْ علاقةُ التبعيّةِ السياسيّةِ بين إمارةِ الأغالبةِ والخلافةِ العباسيّةِ على مسارِ الإمارةِ السياسيّ؟ وما العواملُ التي ساهمتْ في ازدهارِ الإمارةِ لفترةٍ من الزمنِ، ثمّ انهيارِها في نهايةِ المطافِ؟

الكلماتُ المفتاحيّةُ: التبعيّةُ – الأغالبةُ – الخلافةُ العباسيّةُ – إفريقيةُ

The Aghlabid Emirate: A Study of Its Emergence under the Abbasid Caliphate, Its Demographic Structure, and Its Prominent Emirs.

D. ALI B R ELHRABI
Department of History, Faculty of Arts, University of Benghazi

Abstract

The Aghlabid rule in Ifriqiya extended from 184 AH to 296 AH (800–909 CE), following a period marked by political unrest and successive revolts across the Islamic Maghreb. Their rise to power came with Abbasid support, establishing a political dependency characterized by a balance between symbolic allegiance to the Caliphate and de facto autonomy in the administration of local affairs.

A succession of emirs governed the state, with their reigns oscillating between prosperity and disorder. Among them, Ziyadat Allah I stands out as the most prominent ruler, under whose leadership the state witnessed notable stability and a significant economic revival.

The Aghlabid Emirate faced substantial challenges from neighboring powers such as the Rustamid and Tulunid states, in addition to internal strife arising from conflicts among members of the ruling family. These tensions culminated in the fall of the Emirate at the hands of the Fatimids in 296 AH, with its last ruler, Ziyadat Allah III, fleeing to the Levant.

This study is guided by two central questions: How did the political dependency between the Aghlabid Emirate and the Abbasid Caliphate influence the Emirate's political trajectory? And what were the factors that contributed to the Emirate's period of prosperity, followed by its eventual collapse?

Keywords. Dependency – Aghlabids – Abbasid Caliphate – Ifriqiya

المقدمة

الحمدُ للهِ على نِعَمِهِ، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ رُسُلِهِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، وعلى آله وصحبِهِ أجمعين.

فقد قامت خلالَ نهايةِ القرنِ الثاني الهجري في المغربِ الإسلامي إماراتٌ ودُوَيلاتٌ مستقلةٌ، رسمتْ على صفحاتِ التاريخِ الإسلامي الكثيرَ من الأحداثِ والمشاهدِ التي واكبتْ قيامَها وازدهارَها ثم أفولَها. ومن أهمِّ هذه الإماراتِ "إمارةُ الأغالبة"، حيث ظهرت هذه الإمارةُ بمباركةِ الخلافةِ العباسيةِ لأغراضٍ سياسيةٍ، لكنها تحولتْ مع مرورِ الوقتِ إلى إمارةٍ لها نهضةٌ مزدهرةٌ في المجالاتِ السياسيةِ والاقتصاديةِ والفكريةِ والعمرانيةِ لا يمكنُ إغفالُها، واستمرتْ ردحًا من الزمنِ، رغمَ ما اعتراها من مِحَنٍ واضطراباتٍ.

يُعد التاريخ السياسي لإمارة الأغالبة (184–296هـ/800–909م) أحد الفصول المهمة في تاريخ المغرب الإسلامي، نظراً لما اتسمت به هذه الدولة من خصوصية في علاقتها بالخلافة العباسية في بغداد. فالأغالبة حكموا إفريقية باسم الخلفاء العباسيين، في إطار نوع من التبعية السياسية التي توازنت بين الولاء النظري والاستقلال العملي في إدارة شؤون البلاد. وقد كانت هذه السياسة خياراً سياسياً فرضته معطيات المرحلة، حيث سعى الأغالبة للحفاظ على شرعيتهم الداخلية من خلال الانضواء تحت لواء الخلافة العباسية، وفي الوقت ذاته ضمان حماية كيانهم السياسي في وجه الأخطار الخارجية.

مشكلة الدراسة:

تكمن إشكالية هذه الدراسة في محاولة فهم طبيعة العلاقة بين الأغالبة والخلافة العباسية، وهل كانت مجرّد علاقة شكلية تقتصر على الدعاء للخليفة العباسي وسك العملة باسمه، أم أن لها أبعاداً سياسية وعسكرية أعمق؟، كما تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور الذي لعبته إمارة الأغالبة كحاجز سياسي وعسكري أمام الأخطار القادمة من المغرب الإسلامي، خاصة مع بروز الحركات المعارضة للخلافة العباسية، مثل الدولة الرستمية في تاهرت، وحركة الخوارج الصفرية، وغيرها من التيارات التي كانت تهدد استقرار المنطقة وتضعف النفوذ العباسي في أطراف الدولة الإسلامية.

اهدافُ الدِّراسةِ:

1- مَعْرِفَةُ الأحْوالِ الَّتي كانَتْ إفْريقيَّةُ عليها قَبْلَ قِيامِ الإمارةِ الأغلبيَّةِ، وأثَرُ ذلكَ في تَسْريعِ قِيامِ هذهِ الإمارةِ، ودَوْرُ الخِلافةِ العبَّاسيَّةِ في ذلكَ، معَ تَحْليلِ الأسْبابِ الَّتي دَفَعَتِ الأغالِبَةَ إلى المُحافَظَةِ على هذهِ العَلاقةِ، رَغْمَ تَمَتُّعِهِمْ باسْتِقْلالٍ واسِعٍ في تَسْييرِ شُؤونِهِمْ.

2- دِراسَةُ التَّرْكيبةِ السُّكَّانيَّةِ لِهذهِ الإمارةِ، وكَيْفَ كانَ لِهذهِ التَّرْكيبةِ التَّأْثيرُ على واقِعِها السِّياسيِّ.

3- تَسْليطُ الضَّوْءِ على أهَمِّ أُمَراءِ بَني الأغْلَبِ، وسِياساتِهِمُ المُتَباينَةِ في إدارةِ الإمارةِ حتَّى سُقوطِها.

استطاعتْ هذه الإمارةُ أن تضعَ أساسًا لدولةٍ حضاريةٍ يُنظرُ إليها بكلِّ إعجابٍ، وكانت الصَّرْحَ الشامخَ في المغربِ الإسلامي، الذي تقاذفت الثوراتُ والمؤامراتُ. فبناءُ المدنِ المُحصَّنةِ، وإقامةُ الرابطات، وإنشاءُ أسطولٍ بحريٍّ لا مثيلَ له في ذلك الوقتِ، وفتحُ جزيرةِ صقليةَ، كلُّ تلك الإنجازاتِ تؤكدُ عُلوَّ كعبِ هذه الإمارةِ، والنجاحاتِ التي حقَّقَتْها، كلُّ ذلكَ حتَّمَ علينا الاهتمامَ بتاريخِ هذه الإمارةِ ودراستَها دراسةً مستفيضةً، علَّها تُعطيها جانبًا من حقِّها.

المنهج

أما المنهجُ الذي تمَّ اتباعُهُ في هذا البحثِ فهو المنهجُ التاريخيُّ السَّرديُّ، الذي يهدفُ إلى طرحِ الرواياتِ التي تتعلَّقُ بقيامِ هذه الإمارةِ وتحليلِها، بغيةَ الوصولِ إلى حقائقَ علميةٍ حولَ دوافعِ قيامِ هذه الإمارةِ وعلاقةِ العباسيينَ بذلك، وأسباب سقوطها.

الخطة التفصيلية

وقد قُسِّم هذا البحثَ إلى مقدمةٍ، وثلاثةِ مباحثٍ، وخاتمةٍ، وثَبْتٍ للمصادرِ والمراجعِ. فتناولْ المبحثِ الأولِ الحالةَ التي كانتْ عليها ولايةُ إفريقيا قبلَ قيامِ إمارةِ الأغالبةِ، والدَّورِ الذي لعبَهُ العباسيونَ في ظهورِ هذه الإمارةِ، بينما كانَ المبحثُ الثاني عرضًا لسكانِ ولايةِ إفريقية أثناءَ حكمِ الأغالبةِ، أمَّا المبحثُ الثالثُ فقد تمَّ التطرقُ فيه إلى أهمِّ أُمراءِ الأغالبةِ، بدايةً من مؤسِّسِ الإمارةِ إبراهيمَ بنِ الأغلبِ، وانتهاءً بزيادةَ الثالثِ، إلى سقوط الإمارةُ.

المبحث الأول: – قيام إمارة الأغالبة 184هـ/800م

1- الاضطرابات التي شهدتها ولاية افريقية قبيل قيام دولة الأغالبة .

عصفتْ بوِلايةِ إفريقيةَ اضطراباتٌ كثيرةٌ، كان لها آثارٌ كبيرةٌ على الحياةِ السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ للمنطقةِ، وذلك بعيدَ قيامِ الخلافةِ العباسيةِ، رغم أنّ هذه الاضطراباتِ كانتْ موجودةً أثناءَ الخلافةِ الأمويةِ؛ فقد عانتِ السلطةُ الحاكمةُ في القيروانِ، خلالَ عصرِ الولاةِ، كثيرًا من الثوراتِ العاتيةِ، وتعرّضتْ في بعضها للحصارِ، بلْ تمكّن الثائرونَ على الحكمِ الأمويّ في بعضِ الأحيانِ من الاستيلاءِ على القيروانِ نفسها، وانتهاكِ حُرمتها. وقد ظلَّ هذا الوضعُ قائمًا حتى قيامِ دولةِ الأغالبةِ سنةَ 184هـ (زيتون، 1988)، مَا يَهُمُّنَا هُنَا هُوَ أَحْوَالُ هَذَا الإِقْلِيمِ بَعْدَ ظُهُورِ الخِلَافَةِ العَبَّاسِيَّةِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ مِن أُمُورٍ أَدَّتْ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ إِلَى قِيَامِ الإِمَارَةِ الأَغْلَبِيَّةِ. "في عامِ ١٣٢هـ، سَقَطَتِ الدَّوْلَةُ الأُمَوِيَّةُ، وقامَتْ على أَنْقاضِها الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ، فَأَعْلَنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ، والِي إِفْرِيقِيَّةَ، وَلاءَهُ لِلْخَلِيفَةِ العَبَّاسِيّ الأَوَّلِ أَبِي العَبَّاسِ السَّفَّاحِ. وَبَعْدَ وَفاةِ السَّفَّاحِ، تَوَلَّى أَبُو جَعْفَرٍ المَنْصُورُ الخِلافَةَ، فَأَقَرَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَبِيبٍ على وِلايَةِ إِفْرِيقِيَّةَ. (سالم، 1981) ، غَيْرَ أَنَّ هذَا الأَخِيرَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ المَنْصُورِ، وَأَعْلَنَ العِصْيَانَ وَالاِنْفِصَالَ عن العبَّاسيين (الجميلي، 1984) ، وكتب اليه يقول:" إن افريقيا إسلامية كلها ، وقد انقطع السبي فيها والمال، فلا تطلب منى مالاً" (ابن الأثير، 1980) مما أغضبَ المنصورَ، فكتبَ إليه يتوعَّدُه ويُهدِّدُه، فكان ردُّ ابنِ حبيبٍ لا يقلُّ صرامةً عمّا بدرَ من المنصور، إذ أعلنَ خلعَه وعدمَ تبعيَّتِه له، بل إنَّه صعدَ المنبرَ وأخذَ يسبُّه ويقولُ:" وإنّي الآنَ قد خلعتُه كما خلعتُ نعليَ هذا وقذفه من رجله" (ابن عذارى، 1950) ، إِلَّا أَنَّ الرِّيَاحَ جَرَتْ بِمَا لَا يَشْتَهِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ، فَقَدِ انْتَهَزَ أَخُوهُ "إِلْيَاسُ" الفُرْصَةَ، وَثَارَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ، وَتَوَلَّى إِمَارَةَ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ بَعْدِهِ، وَبَعَثَ بِطَاعَتِهِ إِلَى الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيّ المَنْصُورِ.غَيْرَ أَنَّ إِلْيَاسَ هَذَا لَمْ يَلْبَثْ طَوِيلًا فِي تَوَلِّي الإِمَارَةِ، إِذْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ عَلَى يَدِ ابْنِ أَخِيهِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ١٣٨هـ، الَّذِي دَخَلَ القَيْرَوَانَ وَأَمْسَكَ بِزِمَامِ الأُمُورِ فِيهَا. عَلَى أَنَّ حَالَةَ الفَوْضَى وَالتَّنَاحُرِ الَّتِي شَهِدَتْهَا وِلَايَةُ إِفْرِيقِيَّةَ لَمْ تَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، فَقَدْ لَقِيَ حَبِيبٌ مَصْرَعَهُ عَلَى يَدِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ أَبِي جَعْدٍ الوَرْفَجُومِيّ، وَتَمَّتْ بِذَلِكَ سِيَادَةُ البَرَابِرَةِ الصُّفْرِيَّةِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ والمغرب (الجميلي، 1984) ، وَقَدْ سَامَ بَرَابِرَةُ وَرْفَجُومَةَ أَهْلَ القَيْرَوَانِ أَلْوَانًا مِنَ العَسْفِ وَالقَمْعِ، وَأَسْرَفُوا فِي ارْتِكَابِ المَعَاصِي، مِمَّا اضْطَرَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ القَيْرَوَانِ إِلَى الهُرُوبِ نَحْوَ طَرَابُلُسَ وَالاسْتِنْجَادِ بِأَبِي الخَطَّابِ عَبْدِ الأَعْلَى بْنِ السَّمْحِ، الَّذِي زَحَفَ نَحْوَ القَيْرَوَانِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ هَزِيمَةِ بَرَابِرَةِ وَرْفَجُومَةَ، فَأَصْبَحَتِ القَيْرَوَانُ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الإِبَاضِيَّةِ (زيتون، 1988) ، فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ، كَانَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ القَيْرَوَانِ قَدْ وَفَدُوا عَلَى الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيّ المَنْصُورِ، طَالِبِينَ النَّجْدَةَ، فَأَرْسَلَ

المَنْصُورُ مُحَمَّدَ بْنَ الأَشْعَثِ الخُزَاعِيَّ، الَّذِي تَمَكَّنَ مِنَ الِانْتِصَارِ عَلَى أَبِي الخَطَّابِ الرُّبَاضِيّ، وَاسْتَرَدَّ القَيْرَوَانَ. وَأَمَرَ بِبِنَاءِ سُورٍ لِلْمَدِينَةِ، ثُمَّ وَجَّهَ جَيْشًا إِلَى زُوَيْلَةَ وَوُدَّانَ، وَتَمَكَّنَ مِنْ هَزِيمَةِ البَرَابِرَةِ الإِبَاضِيَّةِ، وَقَتْلِ زَعِيمِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيَّانَ (ابن الأثير، 1980)

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ اشْتَعَلَتْ نَارُ العَصَبِيَّةِ القَبَلِيَّةِ فِي بِلَادِ المَغْرِبِ الإِسْلَامِيّ، فَقَدْ كَانَ ابْنُ الأَشْعَثِ يَمَنِيًّا، وَكَانَ مُعْظَمُ جُنْدِهِ مِنَ المُضَرِيَّةِ، فَثَارَ عَلَيْهِ أَحَدُ جُنْدِهِ وَلَكِنَّهُ فَشِلَ. غَيْرَ أَنَّ المُضَرِيَّةَ عَاوَدُوا الكَرَّةَ وَثَارُوا عَلَى ابْنِ الأَشْعَثِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى خَلْعِهِ، وَأَقَامُوا عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ عِيسَى بْنَ مُوسَى، الَّذِي ظَلَّ عَلَى الإِمَارَةِ إِلَى أَنْ وَلَّى المَنْصُورُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ الأَغْلَبَ بْنَ سَالِمٍ. (سالم، 1981).

2- دور الخلافة العباسية في قيام الامارة الاغلبية

بَعْدَ سُقُوطِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ آلَتِ الخِلَافَةُ الإِسْلَامِيَّةُ إِلَى العَبَّاسِيِّينَ، فَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِيّ أَنْ تَتَحَوَّلَ كُلُّ البِلَادِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الأُمَوِيَّةِ لِتُصْبِحَ تَحْتَ حُكْمِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ. لَقَدْ كَانَ اهْتِمَامُ العَبَّاسِيِّينَ بولايةِ إِفْرِيقِيَّةَ وَالمَغْرِبِ الأَوْسَطِ وَالأَقْصَى كَبِيرًا، خَاصَّةً بَعْدَ هَرَبِ أَحَدِ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ الأُمَوِيَّةِ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ – عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلُ – إِلَى الأَنْدَلُسِ، وَأَسَّسَ فِيهَا مَلَكًا لِبَنِي أُمَيَّةَ نَمَا وَازْدَهَرَ فِيمَا بَعْدُ (حقي، 1988)، إِضَافَةً إِلَى ظُهُورِ الثَّوْرَاتِ المُتَتَالِيَةِ فِي إِفْرِيقِيَّةَ، الَّتِي قَضَتْ مُضْجَعَ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّينَ، وَجَعَلَتْهُمْ يُوَلُّونَ هَذِهِ البُقْعَةَ مِنَ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الأَهَمِّيَّةَ الْكُبْرَى، غَيْرَ أَنَّ اهْتِمَامَ العَبَّاسِيِّينَ بَدَأَ يَظْهَرُ وَاضِحًا وَجَلِيًّا مِنْ خِلَالِ تَوْلِيَةِ الأَغْلَبِ بْنِ سَالِمٍ، الَّذِي قَاتَلَ الخَوَارِجَ وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ قُتِلَ. وَلَمَّا بَلَغَ أَبَا جَعْفَرَ المَنْصُورِ، قَتْلَ الأَغْلَبَ بْنَ سَالِمٍ وَبَعَثَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ مَكَانَهُ عُمَرَ بْنَ حُفْصٍ، الَّذِي اسْتَقَامَ لَهُ الأَمْرُ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سِنِينٍ. (ابن خلدون، 2009)، إِلَّا أَنَّ البَرَبِرَ الإِبَاضِيَّةَ ثَارُوا عَلَيْهِ، وَحَاصَرُوا القَيْرَوَانَ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ اقْتِحَامِهَا، وَقَتَلُوا عُمَرَ بْنَ حُفْصٍ، وَتَمَكَّنَ الإِبَاضَةُ مِنْ حُكْمِ القَيْرَوَانِ. لَمْ يَرْضَ أَبُو جَعْفَرَ المَنْصُورُ بِهَذَا الحَالِ، فَأَسْنَدَ وِلَايَةَ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى يَزِيدِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ المَهْلَبِ، وَسَيَّرَهُ بِجَيْشٍ مِنْ عَرَبِ الشَّامِ وَالعِرَاقِ وَخُرْسَانَ، وَاسْتَطَاعَ الانْتِصَارَ عَلَى الإِبَاضَةِ وَدُخُولَ القَيْرَوَانِ. (ابن الأثير، 1980) وَقَدْ سَادَ الهُدُوءُ البِلَادَ خِلَالَ وِلَايَةِ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ، فَأَهْتَمَّ بِالعِمَارَةِ وَالفُنُونِ وَتَرْمِيمِ مَا أَخَذَتْهُ الثَّوْرَاتُ (سالم، 1981) ، وَبَعْدَ وَفَاةِ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيّ المَنْصُورِ، تَوَلَّى هَارُونُ الرَّشِيدُ الخِلَافَةَ العَبَّاسِيَّةَ، فَسَارَ عَلَى نَسِيجِ سَلَفِهِ فِي الاهْتِمَامِ بِإِفْرِيقِيَّةَ، حَيْثُ أَسْنَدَ وِلَايَةَ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى رُوحِ بْنِ حَاتِمٍ عَامَ 177هـ(ابن الأثير، 1980) ، وَمِنْ بَعْدِهِ نَصْرِ بْنِ حَبِيبٍ الْمُهَلَّبِيّ عَامَ 174هـ (زيتون، 1988)، ، ثُمَّ الفَضْلِ بْنِ رُوحٍ الَّذِي تَعَرَّضَ لِثَوْرَةٍ

الجُنْدِ وَقُتِلَ عَامَ 178هـ (ابن الأثير، 1980) ، فَغَضِبَ هَارُونُ الرَّشِيدُ لِذَلِكَ، وَأَرْسَلَ هَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ وَلِيًّا (زيتون، 1988) ، فَقَضَى عَلَى الفِتْنَةِ، وَلَكِنَّ الثَّوْرَاتِ مَا لَبِثَتْ أَنْ زَادَتْ فِي عَهْدِهِ، مِمَّا دَعَاهُ إِلَى طَلَبِ اسْتِعْفَائِهِ مِنْ وِلَايَةِ إِفْرِيقِيَّةَ. فَوَلَّى الرَّشِيدُ مَحْمَدَ بْنَ مُقَاتِلٍ، الَّذِي كَانَ سَيِّئَ السِّيرَةِ (زيتون، 1988) فَتَجَدَّدَتْ ثَوْرَاتُ البَرْبَرِ وَالعَرَبِ وَدَخَلُوا القَيْرَوَانَ. فَجَمَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الأَغْلَبِ، وَالَّذِي كَانَ عَلَى إِقْلِيمِ الزَّابِ، جَيْشًا طَرَدَ بِهِ هَؤُلَاءِ الثُّوَّارَ، وَأَعَادَ وَلِيَّ الرَّشِيدِ، ابْنَ مُقَاتِلٍ، إِلَى وِلَايَتِهِ (ابن الأثير، 1980) ، وَلَكِنَّ أَهْلَ البِلَادِ كَانُوا قَدْ سِئِمُوا ظُلْمَ ابْنِ مُقَاتِلٍ، فَعَلِمَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ وَاسْتَشَارَ خَاصَّتَهُ فِيمَنْ يَصْلُحُ لِوِلَايَةِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَوْلِيَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الأَغْلَبِ، فَوَلَّاهُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَامِ 184هـ. وَجَعَلَ الإِمَارَةَ فِي عَقِبِهِ يَتَوَارَثُونَهَا مِنْ بَعْدِهِ. وَمُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ أَصْبَحَتْ إِفْرِيقِيَّةُ مُسْتَقِلَّةً فِي دَاخِلِيَّتِهَا، وَبَقِيَتْ مُرْتَبِطَةً بِالخِلَافَةِ العَبَّاسِيَّةِ فِي أُمُورِهَا العُمُومِيَّةِ (حسنى، 1373 هـ) يُشيرُ هُنا المُستشرقُ كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية، 1968، الصفحات 188–189) إلى أنَّ العهدَ الذي منحهُ هارونُ الرشيدُ لابنِ الأغلَبِ في إفريقيّةَ، مقابلَ خِراجٍ يدفعهُ للخلافةِ العبّاسيةِ، قد أعطاهُ صلاحيةَ بناءِ مدينةِ العباسيّةِ قربَ القيروانِ، حيثُ جعلها عاصمةً لإمارتهِ الناشئةِ، وصار بمقدورهِ استقبالُ السفراءِ، ومنهم سفراءُ شارلمانَ الذين جاؤوا إليهِ يطلبونَ آثارَ القديسِ كبريانوسَ. غيرَ أنَّ الحقيقةَ كانت أنَّ هدفهم استمالةُ ابنِ الأغلَبِ ليكونَ حليفًا لهم في مواجهةِ الأمويينَ في الأندلسِ، ويبدو واضحًا أنَّ هذا التقاربَ بين الأغالبةِ وشارلمانَ هو استكمالٌ لتقاربٍ سابقٍ حدث بينَ هارونَ الرشيدِ وشارلمانَ. لكنَّ كارل بروكلمان يعودُ ويشككُ في حقيقةِ هذا التقاربِ بين العباسيينَ والفرنجةِ، ومع ذلك فإنَّ سياساتِ الأغالبةِ لا تخرجُ – في معظمها – عمّا يريدهُ العباسيونَ في بغدادَ، ممّا يؤكد قوةَ العلاقةِ بين الطرفين. فدولةُ الأغالبةِ كانت إلى حدّ كبيرٍ مستقلةً عن العباسيينَ إداريًا، لكنّ هناك ارتباطًا سياسيًّا مهمًّا بينهما، وخاصةً ما يتعلق بالسياسةِ الخارجيةِ (الزاوي، 1970).

لم يكن اهتمامُ الخلفاءِ العباسيينَ بولايةِ إفريقيةَ نابعًا عن خوفِهم من الأميرِ الأموي عبد الرحمن الداخلِ الذي استقرّ بالأندلسِ وأقام إمارةً أمويةً كانت كالخنجرِ في خاصرةِ العباسيين، ولا من رهبةِ تنامي مدِّ الخوارجِ في إفريقيةَ فحسب، بل كان هناك خطرٌ أكبرُ يكادُ يكونُ أبلغَ مما ذُكر، وهو مطامعُ الأدارسة في المغربِ ومصرَ. فقد كون الأدارسة العلويونَ دولةً لهم في المغربِ الأقصى شيعيةَ المذهبِ، فكان من الطبيعي أن يخشى العباسيونَ ذلكَ الوضعَ. لذلك فرضَ الرشيدُ إقامةَ دولةِ الأغالبةِ في المغربِ الأدنى لتكونَ حاجزًا بين البلادِ الخاضعةِ للدولةِ العباسيةِ والبلاد الواقعة تحت حكم الادارسة (ابن الخطيب، 1956).

المبحث الثاني: التركيبة السكانية لإمارة الأغالبة

1- العرب

شَكّلَ العَرَبُ مُعْظَمَهُم مِنْ بَقَايَا الفَاتِحِينَ الَّذِينَ اسْتَقَرُّوا بِإِفْرِيقِيَّةَ، وَأَصْبَحُوا مِنْ أَهْلِ البِلَادِ، وَغَالِبُهُم مِنَ القَبَائِلِ القَيْسِيَّةِ. وَقَدْ أَبْلَوْا بَلَاءً حَسَنًا فِي عَهْدِ الأَغَالِبَةِ عِنْدَ مُقَاوَمَةِ بَرَبِرَ كُتَامَةَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ تَعَرَّضُوا فِي فَتَرَاتٍ مِنْ عُمْرِ الإِمَارَةِ إِلَى القَمْعِ عَلَى يَدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الأَغْلَبِ سَنَةَ280هـ (ابن عذارى، 1950) ، كَمَا كَانَ لِلْحَمَلَاتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا العَبَّاسِيُّونَ مِنَ المَشْرِقِ نَحْوَ إِفْرِيقِيَّةَ فِي زَمَنِ الفِتَنِ وَالثَّوْرَاتِ دَوْرٌ فِي انْتِشَارِ العُنْصُرِ العَرَبِيِّ فِي هَذِهِ المِنْطَقَةِ، إِذِ اسْتَقَرَّ هَؤُلَاءِ الجُنْدُ بَعْدَ هُدُوءِ الأَوْضَاعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ – مَعَ مُرُورِ الوَقْتِ – بِمِيزَاتٍ كَبِيرَةٍ، مِثْلَ عَرَبِ بَنِي تَمِيمٍ الَّذِينَ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِمُ الأَغَالِبَةُ. إِلَّا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ – وَكَمَا أَسْلَفْنَا – انْقَلَبَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمُ الكَثِيرَ (ابن عذارى، 1950) ، وَالوَاقِعُ أَنَّ العُنْصُرَ العَرَبِيَّ كَانَ – فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ – سَبَبًا لِلاضْطِرَابَاتِ فِي إِفْرِيقِيَّةَ، إِذْ كَانُوا – فِي مُعْظَمِهِمْ – جُنُودًا، وَلِذَلِكَ اعْتَادُوا القِيَامَ بِثَوْرَاتٍ ضِدَّ الأُمَرَاءِ وَالقَادَةِ، مِثْلَ ثَوْرَةِ حَمْدِ يَسِ الكِنْدِيِّ وَعِمْرَانَ بْنِ مُجَالِدٍ (سالم، 1981) ، بَيْدَ أَنَّ هَذَا العُنْصُرَ – فِي المُقَابِلِ – كَانَ السَّبَبَ فِي نَشْرِ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَصَبَغَ هَذَا الجُزْءَ مِنَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ بِالصِّبْغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي ظَلَّتْ قَائِمَةً حَتَّى الآن

2- البربر

كَانَ البَرَبِرُ يُشَكِّلُونَ غَالِبِيَّةَ سُكَّانِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَهُمْ سُكَّانُ البِلَادِ الأَصْلِيُّونَ.وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الفَتْحَ الإِسْلَامِيَّ لِبِلَادِ المَغْرِبِ وَاجَهَ مُقَاوَمَةً مِنَ البَرَابِرِ فِي فَتَرَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَأَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ، إِلَّا أَنَّ الإِسْلَامَ مَا لَبِثَ أَنْ تَشَرَّبَ إِلَى قُلُوبِ البَرَابِرِ، وَكَانَ لِاتِّصَالِهِمُ المُبَاشِرِ بِالمُسْلِمِينَ الفَاتِحِينَ الأَثَرُ الكَبِيرُ فِي إِدْرَاكِ نَوَايَاهُمْ، فَاعْتَنَقُوا دِينَهُمْ (حقي، 1988) ، وَسَاهَمُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الفَتْحِ الإِسْلَامِيِّ لِإِسْبَانْيَا، وَاسْتَبْلَوْا فِي نُصْرَةِ الإِسْلَامِ (حقي، 1988)، وَمُعْظَمُهُم مِنَ الإِبَاضِيَّةِ المُعْتَدِلِينَ الَّذِينَ طَالَبُوا الأُمَوِيِّينَ بِالمُسَاوَاةِ، وَحَاوَلُوا إِقَامَةَ دَوْلَةٍ لَهُمْ فِي المَغْرِبِ (سالم، 1981) ، وَعِنْدَمَا تَوَلَّى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الأَغْلَبِ وِلَايَةَ إِفْرِيقِيَّةَ، دَخَلَ البَرَابِرُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَكِنَّ ابْنَ عَذَارَى يَرَى أَنَّ هَذَا الحَالَ لَمْ يَسْتَمِرَّ طَوِيلًا، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِثَوْرَاتِهِمْ فِي طَرَابُلُسَ، وَخَاضَ مَعَهُمْ حُرُوبًا طَوِيلَةً(البيان المُغرِب في اخبار المغرب، 1950، صفحة 117).

وَمِمَّا يَنْبَغِي الإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ لِلْبَرَابِرِ فِي إِفْرِيقِيَّةَ دَوْرًا فِي الفَتْحِ الإِسْلَامِيِّ لِجَزِيرَةِ صِقِلِّيَّةَ، خَاصَّةً فِي عَهْدِ زِيَادَةِ اللهِ، الَّذِي أَشْرَكَهُمْ فِي غَزْوِ هَذِهِ الجَزِيرَةِ؛ لِيَشْغَلَهُمْ بِمُقَاتَلَةِ الرُّومِ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي القِيَامِ بِثَوْرَةٍ عَلَيْهِ.وَرَغْمَ ذَلِكَ، فَقَدْ تَعَرَّضَ أَخُوهُ أَبُو عُقَالٍ الأَغْلَبِيُّ لِثَوْرَةِ بَرَابِرَ لَوَاتَةَ وَمَكْنَاسَةَ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَطَاعَ الانْتِصَارَ عَلَيْهِمْ، وَإِبَادَةَ مُعْظَمِ تَجَمُّعَاتِهِمْ (ابن عذارى، 1950)

3- الفرس

مِمّا يجدرُ ذِكرُهُ أنّ الفُرْسَ كانت لهم مُساهَمةٌ كبيرةٌ في قيامِ الدولةِ العبّاسيّةِ، إذِ اتّخذتِ الدَّعوةُ العبّاسيّةُ من بلادِ فارسَ – خاصّةً خُراسان – مركزًا لنشاطِها السِّرّيّ، وقد بَرَزَ عددٌ من قادةِ هذه الدعوةِ من الفُرْسِ، مثلَ أبي سَلَمةَ الخَلّالِ وأبي مُسلمٍ الخُراسانيّ. وقد أكّدَ ذلك محمّدُ بنُ عليٍّ العبّاسيُّ صاحبُ الدَّعوةِ، إذ قال لأتباعِه: «عليكم بخُراسانَ، فإنّ هناك العَدَدَ الكثيرَ، والجَلَدَ الظّاهِرَ، وهناك صُدورٌ سليمةٌ، وقلوبٌ فارغةٌ، لم تتقاسمْها الأهواءُ، ولم تتوزّعْها النِّحَلُ، ولم يَقْدِمْ فيها فسادٌ"

(المقدسي، 2003م)، وَبِالتَّالِي، فَإِنَّ الفُرْسَ الَّذِينَ سَكَنُوا وِلَايَةَ أَفْرِيقِيَا هُمُ الَّذِينَ قَدِمُوا إِلَيْهَا مِن خُرَاسَانَ وَفَارِسَ مَعَ وُلَاةِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ، وَاسْتَقَرُّوا بِهَذَا الجُزْءِ مِنَ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ شَكَّلُوا قِسْمًا مِن نَسِيجِهَا الاجْتِمَاعِيِّ، وَكَانُوا يَعِيشُونَ فِي القِلَاعِ البِيزَنْطِيَّةِ القَدِيمَةِ بِقَابِسَ وَالقَيْرَوَانِ وَبَاجَةَ. وَقَدْ أَسْهَمَ هَؤُلَاءِ الخُرَاسَانِيُّونَ فِي فَتْحِ صِقِلِّيَّةَ، فَقَدْ كَانَتِ الحَمْلَةُ الَّتِي قَادَهَا القَاضِي أَسَدُ بْنُ الفُرَاتِ مُشَكَّلَةً مُعْظَمُهَا مِن الفُرْسِ (سالم، 1981)

4- الروم والعبيد والفتيان

دَخَلَ الشَّمَالُ الإِفْرِيقِيُّ فِي حَوْزَةِ الرُّومَانِ إِثْرَ الحَرْبِ البُونِيَّةِ الثَّالِثَةِ، الَّتِي هُزِمَتْ فِيهَا قُرْطَاجَةُ (حقي، 1988) لَمْ تَكُنْ سَيْطَرَةُ الرُّومَانِ عَلَى الشَّمَالِ الإِفْرِيقِيِّ سَيْطَرَةً كَامِلَةً، بَلْ كَانَ نُفُوذًا سِيَاسِيًّا وَإِدَارِيًّا. وَمَعَ مُرُورِ الوَقْتِ، حَرَصَ الرُّومَانُ عَلَى جَعْلِ شَمَالِ أَفْرِيقِيَا جُزْءًا مُهِمًّا مِنَ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ، وَاسْتَخْدَمُوا فِي ذَلِكَ عِدَّةَ وَسَائِلَ، مِثْلَ إِدْخَالِ العَنَاصِرِ الرُّومَانِيَّةِ إِلَى البِلَادِ، وَالمُصَاهَرَةِ مَعَ السُّكَّانِ الأَصْلِيِّينَ لِتَغْلِيبِ العُنْصُرِ الرُّومَانِيِّ، وَمَنْحِ الامْتِيَازَاتِ لِمَنْ يَخْدِمُ فِي الجَيْشِ الرُّومَانِيِّ لِمُدَّةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. غَيْرَ أَنَّ العَلَاقَةَ بَيْنَ الرُّومَانِ وَسُكَّانِ أَفْرِيقِيَا لَمْ تَكُنْ وَدِّيَّةً، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَرْسَلَ هِرَقْلُ حَاكِمًا رُومَانِيًّا جَدِيدًا لِوِلَايَةِ أَفْرِيقِيَا، بَالَغَ فِي فَرْضِ الضَّرَائِبِ عَلَى السُّكَّانِ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنْ يُرْسِلَ

جَيْشًا لِفَتْحِ أَفْرِيقِيَا (زيتون، 1988)، ونظرًا لسماحةِ الإسلامِ، فإنّ مَن بَقِيَ من الرُّومانِ ظلَّ مُقيمًا في عُزلتِه، لا يُمَسُّ بأذًى، مُحتفِظًا بكيانِه ولُغتِه وتقاليدِه. أمّا الأَفارقةُ، فهُم بَقايا الفِينيقيّينَ واللاتينِ (سالم، 1981) ، والفِينيقيّونَ هُم عَرَبٌ هاجَروا من جنوبِ الجزيرةِ العربيّةِ إلى شواطئِ الشّامِ، وهناكَ أسّسوا إمبراطوريتَهم، ثمّ اتّجهوا نحوَ الغربِ عَبرَ البحرِ، وبنَوا مراكزَ تجاريّةً على شواطئِ تونسَ، وذلك عامَ 1110 قبلَ الميلادِ، مثلَ سوسةَ وبنزرتَ وغيرِها (حقي، 1988) ، واعتنقوا المسيحيّةَ، وقدِ استوطنوا في عهدِ الأغالبةِ إقليمَ الجريدِ، في قفصَةَ وتوزَر، كما أقامت طائفةٌ منهم في طَبْنَةَ، عاصمةِ الزّابِ (سالم، 1981) ، حيثُ اشتغلَ هؤلاءِ بالزّراعةِ، خاصّةً الزَّيتونَ، والحقيقةُ أنّ الأغالبةَ اتّبعوا معهم سياسةَ التّسامحِ، وأَسنَدوا إليهم بعضَ المناصبِ المُهمّةِ في الدَّولةِ، إلاّ أنّهم كانوا يشترطونَ على مَن يتولّى هذه المناصبَ أن يعتنقَ الإسلامَ. (سالم، 1981).

ومِن ضمنِ سُكّانِ ولايةِ إفريقيّةَ في عهدِ الأغالبةِ، العبيدُ الّذينَ اتّخذَهُم إبراهيمُ بنُ الأغلَبِ حَرَسًا له، وجعَلَهُم في خدمتِه سنةَ 185هـ. ويُشيرُ ابنُ عَذارى إلى أنّ إبراهيمَ بنَ الأغلَبِ، عندما شَرَعَ في بناءِ مدينةِ القصرِ القديمِ، الّتي صارَت بعدَ ذلك دارَ الأُمراءِ لبني الأغلَب، وكانت قريبةً من القيروانِ، فإنَّه نَقَلَ إليها السِّلاحَ والعَتادَ سِرًّا، وأَسكَنَ حولَها عَبيدَهُ وأهلَ الثِّقةِ من خَدَمَتِه (البيان المُغرِب في اخبار المغرب، 1950، صفحة 117)، ومعظمُ هؤلاءِ العبيدِ من ذَوي البَشَرةِ السَّوداءِ، إذ كانوا يَجلبونَهُم من بلادِ السُّودانِ، وكانت بلادُ الجريدِ في عصرِ الأغالبةِ مركزًا هامًّا لهذا النوعِ من التِّجارةِ، وكان الأُمراءُ يُدرِّبونَهُم على القتالِ، فَحلّوا مَحلَّ الجُندِ العرب (سالم، 1981) .

أمّا الجِنسُ الأبيضُ من العبيدِ، فهُم من الصّقالِبةِ، وهُم مماليكُ اشتراهُم الأُمراءُ أو قاموا بجلبِهم من الجُزُرِ التي فَتَحَها المُسلمونَ، مثلَ صِقِلّيةَ ومالطةَ، وأدخلوهم قُصورَهم، واستَخدموهم في الشُّؤونِ الخاصّةِ عَدا قيادةِ الجُيوشِ، وهناك الكثيرُ منَ الفِتيانِ الذين شاركوا مُشاركةً فعليّةً في مُعاوَنةِ أُمراءِ الأغالبةِ في العديدِ منَ الأعمالِ المُهمّة (عبدالوهاب، 1966) ،ومن أهم اعمال هؤلاء انهم كانوا نظاراً لدار ضرب المسكوكات النقدية، فطالما كانت تحمل هذه المسكوكات أسماء الفتيان على وجه بينما يحمل الوجه الآخر اسم الامير الذي أمر بضرب هذه النقود، وقد حافظ جّل هؤلاء الفتيان على لغتهم الأصلية (عبدالوهاب، 1966).

إنَّ هذا التَّنوّعَ العِرقيَّ والاجتماعيَّ شَكَّلَ في مُجمَلِه سُكّانَ ولايةِ إفريقيَّةَ زمنَ حُكمِ الأغالبةِ، وما يُميّزُ هذه التَّركيبةَ السُّكّانيةَ أنَّها ساهمت بصورةٍ مُشترَكةٍ فيما بعدُ في ازدهارِ الإمارةِ الأغلبيَّةِ.

المبحث الثالث: أهمّ الأمراء الأغالبة حتى سقوط الإمارة

حَكَمَت الأسرةُ الأغلبيّةُ ولايةَ إفريقيّةَ لمدةِ مائةٍ وأربَعَ عَشرَ عامًا، شهدت خلال هذه الفترة العديدَ من الأحداثِ، وخَلّفت هذه الأسرةُ – رغم فتراتٍ من الاضطرابِ – حضارةً رفيعةً في هذه البقعةِ من الدولةِ الإسلاميّةِ، وأسهمت في خلق نوعٍ من الاستقرارِ. وقد تَوَالَى على خلافةِ الإمارةِ الأغلبيّةِ عشرةُ أمراءٍ، أشهرُهم إبراهيمُ بنُ الأغلَبِ، وأبو العبّاسِ بنِ عبد اللهِ بن إبراهيم، وزيادةُ اللهِ بن إبراهيم، وآخرُ الأمراءِ الأغالبةِ زيادةُ بنُ عبد اللهِ الذي سقطت في عهدِهِ الإمارةُ الأغلبيّةُ.

1- أهم الأمراء الأغالبة

- إبْرَاهِيمُ بْنُ الأغلب

كَانَ لِإِسْنَادِ أَمْرِ أَفْرِيقِيَةَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ أَثَرٌ بَعِيدٌ وَعَمِيقٌ فِي التَّغْيِيرِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي طَرَأَ عَلَى هَذِهِ الْوِلَايَةِ (زيتون، 1988)، فَقَدْ أَوْرَدَ الْيَعْقُوبِيُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ كَانَ أَحَدَ الْجُنْدِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ مِصْرَ إِلَى أَفْرِيقِيَا، وَكَانَ يَتَوَلَّى صَاحِبَ الشُّرْطَةِ قَبْلَ أَنْ يُوَلِّيهِ هَارُونُ الرَّشِيدُ إِمَارَةَ أَفْرِيقِيَا لَهُ وَلِأَسْلَافِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى أَنْ تَكُونَ السُّلْطَةُ الْأَسْمِيَّةُ لِلْخِلَافَةِ فِي بَغْدَادَ. (تاريخ اليعقوبي، 1970، صفحة 412).

تَمَيَّزَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ بِقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ، وَكَانَ عَلَامًا أَدِيبًا خَطِيبًا(عبدالوهاب، 1966) وَقَدْ حَدَثَتْ فِي عَهْدِهِ عِدَّةُ ثَوْرَاتٍ، مِنْهَا ثَوْرَةُ حَمْدِ يَسْ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَنْدِيِّ، الَّذِي ثَارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ بِتُونِسَ فِي جُمُوعٍ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَالْبَرَبَرِ، وَاسْتَطَاعَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُوَاجِهَهُمْ بِسَبْخَةِ تُونِسَ وَيَهْزِمَهُمْ (القيرواني،

1986) ، ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ قَائِدُهُ الْأَوَّلُ عِمْرَانُ ابْنُ مَجَالِدَ الزُّبَيْعِيُّ (شاكر، 1973) إِلَّا أَنَّهُ بِحِنكَتِهِ تَمَكَّنَ مِنْ إِغْرَاءِ أَتْبَاعِ ابْنِ مَجَالِدَ مِمَّا جَعَلَهُمْ يَتَسَلَّلُونَ عَنْهُ، فَاضْطُرَّ الْآخِرُ إِلَى الْهَرَبِ مِنَ الْقَيْرَوَانِ نَحْوَ الزَّابِ.

إِنَّ مُحَاوَلَاتِ التَّقَرُّبِ الَّتِي أَبْدَاهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ لِلْعَبَّاسِيِّينَ ظَهَرَتْ فِي أَوْقَاتٍ مُبَكِّرَةٍ، حِينَمَا أَسْرَعَ إِلَى نَجْدَةِ الْوَالِي الْعَبَّاسِيِّ عَلَى إِفْرِيقِيَا مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ بَعْدَمَا ثَارَ عَلَيْهِ بِتُونِسَ تَامَامَ التَّمِيمِيِّ، وَأَعَادَهُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ.

وَعَمَلًا بِمَا تَوَافَقَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ وَالْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ، وَالْمُتَمَثِّلُ فِي اسْتِمْرَارِ الْإِمَارَةِ فِي أُسْرَتِهِ، فَقَدْ عَهِدَ قَبْلَ وَفَاتِهِ إِلَى ابْنِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ لِيَتَوَلَّى الْإِمَارَةَ مِنْ بَعْدِهِ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ 196 هِجْرِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ حَكَمَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا. (البلاذري، 1978)

- أَبُو الْعَبَّاسِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

تَرَكَ لَهُ أَبُوهُ مَلِكًا مُهَدَّدًا فَاتَّسَمَ عَهْدُهُ بِالْهُدُوءِ وَالسِّلْمِ، لَكِنَّهُ كَانَ سَيِّئَ السِّيرَةِ حَتَّى مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ (حسن، 1991) وَتَخَلَّلَتْ فَتْرَةُ حُكْمِهِ اجْحَافٌ بِالْمُزَارِعِينَ مِنْ خِلَالِ زِيَادَةِ الضَّرَائِبِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى ضِيقِهِمْ وَشَكَوَاتِهِمْ (زيتون، 1988)، فَكَانَ لِهَذِهِ السِّيَاسَةِ مَدْعًى لِتَذَمُّرِ الرَّعِيَّةِ. وَقِيلَ إِنَّهُ أُصِيبَ بِقُرْحَةٍ فَمَاتَ مِنْهَا (حسن، 1991) وَقَدْ قَالَ عَنْهُ ابْنُ عَذَارِيّ: "أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ جَوْرًا عَظِيمًا عَلَى رَعِيَّتِهِ فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ" (البيان المُغرِب في اخبار المغرب، 1950، صفحة 95). أَمَّا فَتْرَةُ حُكْمِهِ فَقَدِ اسْتَمَرَّتْ خَمْسَ سَنَوَاتٍ، وَقَدْ وُصِفَ بِأَنَّهُ أَجْمَلُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَقْبَحُهُمْ فِعْلًا.

- زِيَادَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

تَوَلَّى زِيَادَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَارَةَ بَعْدَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (النائب الأنصاري، 1984)، وَكَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ أَطْوَلَ الْأَغَالِبَةِ عَهْدًا بِالْحُكْمِ (حسن، 1991) ، أَقَرَّهُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الْمَأْمُونُ بِالْإِمَارَةِ (عبدالوهاب، 1966). لَقَدْ كَانَتِ السِّنَوَاتُ السِّتُّ الْأُولَى مِنْ حُكْمِهِ تَنَعَّمَتْ بِالْأَمْنِ وَالاطْمِنَانِ، وَلَكِنَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَتْ سِيرَتُهُ تَسُوءُ فِي جُنْدِهِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى قِيَامِ ثَوْرَةٍ ضِدَّهُ عَلَى يَدِ أَحَدِ قَادَتِهِ وَهُوَ زِيَادَةُ بْنُ سَهْلٍ أَوْ مَا عُرِفَ بِابْنِ الصَّقْلِيَّةِ (عبدالحميد، 1979) ، غَيْرَ أَنَّ أَهَمَّ الثَّوْرَاتِ الَّتِي وَاجَهَتْ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ هِيَ ثَوْرَةُ مَنْصُورِ الطَّنْبَدِيِّ سَنَةَ 209 هِجْرِيَّةٍ، الَّتِي كَثُرَ جَمْعُهَا وَتَغَلَّبَ عَلَى جَيْشِ زِيَادَةَ اللَّهِ وَسَارَ إِلَى الْقِيرَوَانِ وَاحْتَلَّهَا، حَاصَرَهُ مَدِينَةَ الْعَبَّاسِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ زِيَادَةَ اللَّهِ تَمَكَّنَ مِنَ الانْتِصَارِ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ وَدَخَلَ الْقِيرَوَانَ

(زيتون، 1988) لَقَدْ كَانَتْ هَزِيمَةُ قُوَّاتِ الطَّنْبَدِيِّ أَمَامَ الْقِيرَوَانِ حَاسِمَةً مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَدَّتْ إِلَى فَشَلِ مُخَطَّطِ الْمَنْصُورِ لِلِاسْتِيلَاءِ عَلَى إِفْرِيقِيَا (عبدالحميد، 1979)

لَمْ يَكُنِ اهْتِمَامُ زِيَادَةَ اللَّهِ بِمُوَاجَهَةِ الثَّوْرَاتِ وَتَثْبِيتِ أَرْكَانِ الْإِمَارَةِ فَقَطْ؛ بَلْ اهْتَمَّ أَيْضًا بِالْعِمَارَانِ وَالْبِنَاءِ خَاصَّةً الْقَنَاطِرِ وَالْأَرْبِطَةِ وَالْخَزَّانَاتِ، إِضَافَةً إِلَى فَتْحِ صِقِلِّيَّةَ، فَغَزْوُ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَّةَ كَانَ عَمَلًا جِهَادِيًّا خَاصَّةً إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ قَائِدَ الْحَمْلَةِ هُوَ الْقَاضِي أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ؛ لَكِنَّنَا لَا نَهْمَلُ أَهْدَافًا أُخْرَى عِنْدَ زِيَادَةَ اللَّهِ مِثْلَ التَّوَسُّعِ وَالْغَنَائِمِ وَالْحَدِّ مِنْ اعْتِدَاءَاتِ الْأُسْطُولِ الرُّومَانِيِّ عَلَى الْمَوَانِئِ الْأَفْرِيقِيَّةِ، وَكَذَلِكَ السَّيْطَرَةُ عَلَى طُرُقِ التِّجَارَةِ الْبَحْرِيَّةِ مَا بَيْنَ شَطْرَيْ حَوْضِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ، بِالإِضَافَةِ إِلَى إِشْغَالِ جُنْدِهِ الْبَرَابِرَ حَتَّى لَا يَقُومُوا بِالثَّوْرَةِ ضِدَّهُ (شاكر، 1973).

لَقَدْ كَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ أَهَمَّ أُمَرَاءِ بَنِي الْأَغْلَبِ، وَرَغْمَ مَا قِيلَ عَنْهُ حَوْلَ شَخْصِيَّتِهِ وَنَزَوَاتِهِ، فَإِنَّ هُنَاكَ شَخْصِيَّةً أُخْرَى تَحْمِلُ الْعَطْفَ وَالْوَدَاعَةَ. لَقَدْ ظَهَرَ زِيَادَةُ اللَّهِ بِمَظْهَرِ الْمُتَمَزِّقِ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرِّقَّةِ (عبدالحميد، 1979) هَذَا التَّنَاقُضُ فِي شَخْصِيَّتِهِ يَجِبُ أَلَّا يَجْعَلَنَا نَلْمَسُ الْجَانِبَ السَّلْبِيَّ مِنْ حَيَاتِهِ وَنُهْمِلُ الْجَوَانِبَ الْإِيجَابِيَّةَ الْأُخْرَى، وَهَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ يُعَدُّ إِجْحَافًا فِي حَقِّ هَذَا الْأَمِيرِ الَّذِي اسْتَمَرَّ فِي الْحُكْمِ أَكْثَرَ مِنْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً.

- زِيَادَةُ اللَّهِ الثَّالِثُ: آخِرُ أُمَرَاءِ الْأَغَالِبَةِ

تَوَلَّى زِيَادَةُ اللَّهِ الثَّالِثُ الْإِمَارَةَ بَعْدَ قَتْلِهِ لِأَبِيهِ، الَّذِي كَانَ قَدْ سَجَنَهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَاطَى الْخَمْرَ، حَيْثُ تَمَكَّنَ زِيَادَةُ اللَّهِ، وَهُوَ فِي سِجْنِهِ، مِنَ التَّآمُرِ عَلَى أَبِيهِ وَقَتْلِهِ سَنَةَ 290هـ (زيتون، 1988)، ، غَيْرَ أَنَّ مُسَلْسَلَ الْقَتْلِ عِنْدَ زِيَادَةَ اللَّهِ الثَّالِثِ لَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، فَقَدْ قَتَلَ أَعْمَامَهُ وَإِخْوَتَهُ، وَاسْتَمَرَّ فِي لَهْوِهِ وَمَلَذَّاتِهِ.

فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ الشِّيعِيُّ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى مَدِينَتَي مَلِيلَةَ وَسِطِيفَ، مِمَّا أَثَارَ الرُّعْبَ فِي نَفْسِ الْأَمِيرِ الْأَغْلَبِيِّ (عبدالحميد، 1979) ، فَأَرْسَلَ زِيَادَةُ اللَّهِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنَ الْعَسْكَرِ، فَهَزَمَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ الشِّيعِيُّ. وَلَمَّا رَأَى زِيَادَةُ اللَّهِ هَزِيمَةَ جُنُودِهِ، جَمَعَ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَخَرَجَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، حَيْثُ سَارَ إِلَى الرَّقَّةِ، فَأَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ لِقِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ، وَكَتَبَ إِلَى النُّوشَرِيِّ، عَامِلِهِ بِمِصْرَ، بِإِمْدَادِ زِيَادَةَ اللَّهِ بِالْعَسَاكِرِ

وَالْأَمْوَالِ (ابن الوردي، 1970) ، غَيْرَ أَنَّ النُّوشَرِيَّ مَاطَلَهُ، وَكَانَ آنَذَاكَ زِيَادَةُ اللَّهِ مُنْهَمِكًا فِي الْمَلَاهِي، مِمَّا جَعَلَ أَصْحَابَهُ يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَزَادَ أَمْرُهُ سُوءًا بِإِصَابَتِهِ بِالْمَرَضِ، فَقَصَدَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لِلْإِقَامَةِ، لَكِنَّ الْمَنِيَّةَ بَاغَتَتْهُ هُنَاكَ، فَمَاتَ وَدُفِنَ بِالرَّمْلَةِ. وَبِمَوْتِهِ انْتَهَتِ الْإِمَارَةُ الْأَغْلَبِيَّةُ (ابن ابي دينار، 1387هـ) وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ الشِّيعِيُّ قَدْ دَخَلَ رَقَّادَةَ بَعْدَ عِلْمِهِ بِهَرَبِ زِيَادَةَ اللَّهِ، وَنَزَلَ بِقَصْرِهَا الْمَعْرُوفِ بِقَصْرِ الصَّحْنِ (سالم، 1981)

لَقَدْ حَاوَلَ الْأُمَرَاءُ الْأَغَالِبَةُ، عَلَى مَدَى أَكْثَرَ مِنْ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَبِمَجْهُودَاتٍ جَبَّارَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ، تَكْوِينَ دَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ شَامِخَةٍ، ذَاتِ شَوْكَةٍ قَوِيَّةٍ وَنُظُمٍ إِدَارِيَّةٍ مَتِينَةٍ (عبدالوهاب، 1966) وَلَعَلَّ الْأُسْطُولَ الْبَحْرِيَّ الَّذِي بَنَاهُ بَنُو الْأَغْلَبِ لَمْ يَرَ الْعَرَبُ مِثْلَهُ فِي الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ، وَالنَّهْضَةَ الْحَضَارِيَّةَ الَّتِي أَرْسَاهَا الْأَغَالِبَةُ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ كَانَتْ شَاهِدًا عَلَى مَدَى التَّقَدُّمِ وَالنُّبُوغِ الَّذِي عَاشَتْهُ هَذِهِ الْبُقْعَةُ مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْتَ حُكْمِ الْأُمَرَاءِ الْأَغَالِبَةِ.

2- سُقُوطُ دَوْلَةِ الْأَغَالِبَةِ

لَا شَكَّ أَنَّ أَوْضَاعَ الدَّوْلَةِ الْأَغْلَبِيَّةِ قَدْ تَدَهْوَرَتْ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِهَا، إِذْ أَسْهَمَتِ الثَّوْرَاتُ وَالِاضْطِرَابَاتُ الدَّاخِلِيَّةُ الَّتِي شَهِدَتْهَا فِي تَسْرِيعِ سُقُوطِهَا. وَمَعَ ذَلِكَ، يُعَدُّ ظُهُورُ الدَّعْوَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْعَامِلَ الْحَاسِمَ الَّذِي عَجَّلَ بِانْهِيَارِ الْحُكْمِ الْأَغْلَبِيِّ فِي وِلَايَةِ إِفْرِيقِيَا، وَقَدْ مَثَّلَ هَذَا الْحَدَثُ "الْقَشَّةَ الَّتِي قَصَمَتْ ظَهْرَ الْبَعِيرِ" كَمَا يُقَالُ، إِيذَانًا بِانْتِهَاءِ حُقْبَةِ حُكْمٍ طَوِيلَةٍ وَإِفْسَاحِ الْمَجَالِ أَمَامَ مَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ التَّحَوُّلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ فِي الْمِنْطَقَةِ.

لَقَدْ حَاوَلَ الْأَغَالِبَةُ الْوُقُوفَ فِي وَجْهِ الْمَدِّ الشِّيعِيِّ فِي الْمَغْرِبِ مُنْذُ الْبِدَايَةِ، وَتَحْدِيدًا بَعْدَمَا بَدَأَ يَعْلُو صَوْتُهُمْ وَيَكْثُرُ أَتْبَاعُهُمْ، حَيْثُ وَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ تَهْدِيدًا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ دَاعِيَتِهِمْ، الَّذِي كَانَ قَدِ اسْتَطَاعَ اسْتِمَالَةَ قَبِيلَةِ كُتَامَةَ الْبَرْبَرِيَّةِ، لَكِنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى الْفِرَارِ إِلَى تَازُورْتَ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ الْأَغْلَبِيِّ خَوْفًا مِنَ الْأَمِيرِ الْأَغْلَبِيِّ، وَهُنَاكَ عَظُمَ شَأْنُهُ (ابن خلدون، 2009).

اسْتَمَرَّ الْأَغَالِبَةُ فِي حُرُوبِهِمْ ضِدَّ عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ، وَلَعَلَّ أَبْرَزَ أُمَرَائِهِمُ الَّذِينَ اسْتَمَاتُوا فِي مُوَاجَهَةِ الْمَدِّ الشِّيعِيِّ فِي الْمَغْرِبِ هُوَ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنُ الْأَغْلَبِ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَتَانَةَ الْعَلَاقَةِ الَّتِي رَبَطَتِ الْأَغَالِبَةَ بِالْخِلَافَةِ

الْعَبَّاسِيَّةِ؛ إِذْ إِنَّهُمْ وَاجَهُوا هَذَا الْمَدَّ الشِّيعِيَّ خَشْيَةً مِن اتِّسَاعِهِ فِي أَفْرِيقِيَا، وَلَكِنَّهُمْ قَاتَلُوا أَيْضًا تَقَرُّبًا إِلَى الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، بِاعْتِبَارِهِمْ حُلَفَاءَ لَهَا فِي أَفْرِيقِيَا وَالْمَغْرِبِ.

وُجِّهَ زِيَادَةُ اللَّهِ قُوَّةً عَسْكَرِيَّةً نَحْوَ سَبْتَةَ لِمُوَاجَهَةِ عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ، بِقِيَادَةِ ابْنِ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ، إِلَّا أَنَّ الْأَخِيرَ انْهَزَمَ عَلَى يَدِ عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ، الَّذِي بَدَأَ يَقْتَرِبُ مِنْ تُونُسَ، وَأَمَامَ هَذَا الْخَطَرِ، فَرَّ زِيَادَةُ اللَّهِ إِلَى طَرَابُلُسَ، وَمَكَثَ فِيهَا فَتْرَةً يَنْتَظِرُ وُصُولَ وَزِيرِهِ ابْنِ الصَّائِغِ. غَيْرَ أَنَّ ابْنَ عَذَارِي يَذْكُرُ أَنَّ ابْنَ الصَّائِغِ حَاوَلَ الْهُرُوبَ إِلَى صِقِلِّيَّةَ، لَكِنَّ سَفِينَتَهُ جَنَحَتْ إِلَى طَرَابُلُسَ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ زِيَادَةُ اللَّهِ وَقَتَلَهُ (البيان المُغرب في اخبار المغرب، 1950، صفحة 202) ، ثُمَّ فَرَّ زِيَادَةُ اللَّهِ بِنَفْسِهِ إِلَى مِصْرَ، وَمِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ، حَيْثُ حَاوَلَ اسْتِمَالَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ مُعْتَمِدًا عَلَى الْعَلَاقَاتِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُ الْأَغَالِبَةَ بِهِمْ، إِلَّا أَنَّ الْعَبَّاسِيِّينَ خَذَلُوهُ، وَاكْتَفَى الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِرُ بِإِصْدَارِ أَوَامِرَ لِوَالِيهِ عَلَى مِصْرَ النُّوشَرِيِّ، بِمُسَاعَدَةِ زِيَادَةَ اللَّهِ لِاسْتِعَادَةِ مُلْكِهِ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَتَحَقَّقْ (إسماعيل، 2000) وَرُبَّمَا كَانَ لِانْشِغَالِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِمُوَاجَهَةِ الْفِتَنِ فِي الْمَشْرِقِ – خَاصَّةً مَعَ الْعَلَوِيِّينَ وَالْخَوَارِجِ – سَبَبًا فِي انْشِغَالِهَا عَنْ نُصْرَةِ حُلَفَائِهَا الْأَغَالِبَةِ، وَبِذَلِكَ انْتَهَى حُكْمُ الْأَغَالِبَةِ، وَسَقَطَتْ دَوْلَتُهُمْ سَنَةَ 296هـ عَلَى يَدِ الشِّيعَةِ الْفَاطِمِيِّينَ، وَسَقَطَتْ مَعَهُمُ الدَّعْوَةُ لِلْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ عَلَى مَنَابِرِ أَفْرِيقِيَةَ نِهَائِيًّا، فَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِرُ آخِرَ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الَّذِينَ كَانَ يُدْعَى لَهُمْ فِي أَفْرِيقِيَةَ (ابن وردان، 1988).

الخاتمة:

قد تبيَّن لنا من خلال ما تناولناه في هذا البحث جملةٌ من الأمور التي تتعلَّق بالإمارة الأغلبيَّة؛ من حيث نشأتها، وتطوّرها، وازدهارها، ثم الفتن التي عصفت بها، وأخيرًا سقوطها.

فالإمارة الأغلبيَّة قامت على أُسسٍ سياسيَّة في بادئ الأمر، وكان للخلافة العباسيَّة دورٌ لا يمكن إنكاره في ظهور هذه الإمارة على مسرح الأحداث. ولكن الشيء الأهمّ من ذلك، والذي يمكن أن نستخلصه من هذه الدراسة، هو أنَّ هذه الإمارة لم تكن مجرَّد حاجزٍ أقامه العباسيّون لدرء المدّ الشيعيّ الذي بدأت تظهر معالمه في المغرب الأقصى، ولا فقط للقضاء على خطر الخوارج الذي ظلّ مستشريًا في تلك المناطق يُقلق الخلافة العباسيَّة؛ وإنَّما كانت إمارةً لها كلُّ مقوّمات الدولة الفتيَّة، التي استطاعت –على مدى قرنٍ من الزمن– أن تخلق حالةً من الاستقرار والازدهار في ولاية إفريقية. وليس انهماك الأمراء الأغالبة في البناء، واهتمامهم بالعمران والاقتصاد والفكر، إلا دليلاً على ذلك.

إنَّ ازدهار ولاية إفريقية زمن الأغالبة، وشيوع الأمن في الطرق والمسالك التي تربط بين مدن الإمارة، وغزو جزيرة صقلية وغيرها من جُزر البحر المتوسِّط؛ لَيُؤكِّد أننا أمام إمارةٍ على قدرٍ عظيمٍ من التنظيم والقوَّة والاستقرار، وليست ولايةً استُحدِثت فقط لحماية الخلافة العباسيَّة. ولعلَّ إقرار الخليفة العباسيّ المأمون لزيادة الله بن إبراهيم بولاية إفريقية بعد وفاة أخيه إلا اعترافٌ صريحٌ بقوَّة الأمراء الأغالبة. بل ذهب زيادة الله إلى أبعد من ذلك في إظهار قوَّته للعباسيين، حين هدّد بالاستقلال عن الخلافة العباسيَّة والانضمام إلى دولة الأدارسة العلويَّة، وذلك عندما طلب منه الخليفة المأمون الدعاء لعبد الله بن طاهر على منابر إفريقية.

لقد منح العباسيون حكم إفريقية إلى أسرة الأغالبة بصيغة الإقطاع السياسيّ المشروط بالولاء؛

فظلّ الأغالبة يدفعون الخراج إلى بغداد، ويذكرون الخليفة في الخُطبة، مقابل حكمٍ ذاتيٍّ شبه مستقلٍّ في الشؤون المحليَّة والعسكريَّة، ونجحوا من خلال هذا المنفذ السياسيّ في بناء دولةٍ قويَّةٍ في منطقةٍ كانت تتقاذفها الصراعات والفتن.

وأخيراً فإنَّ الشواهد التاريخيَّة أثبتت أنَّ إمارة الأغالبة مرحلةٌ مهمَّة ظهرت على صفحات التاريخ العربيّ الإسلاميّ، حملت كلَّ مقوِّمات الدولة القويَّة، واستطاعت أن تُصبغ هذا الجزء من العالم الإسلاميّ بالصبغة العربيَّة الأصيلَة، وتركت لنا إرثًا حضاريًّا لا يزال شاهدًا على ازدهار هذه الإمارة حتى الآن.

المصادر والمراجع:

1- المصادر

- ابو الحسن على ابن ابي الكرم ابن الأثير. (1980). الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابو العباس أحمد ابن عذارى. (1950). البيان المُغرِب في اخبار المغرب. ليدين.
- أبو عبد الله بن ابي قاسم ابن ابي دينار. (1387هـ). المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام. (المجلد 2). تونس: المكتبة العتيقة.
- أحمد بك النائب الأنصاري. (1984). المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. طرابلس: مكتبة الفرجاني.
- أحمد بن ابي يعقوب اليعقوبي. (1970). تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار بيروت.

- أحمد بن يحي البلاذري. (1978). فتوح البلدان، تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان. بيروت: دار الكتب العالمية.
- الحارث عيسى ابن وردان. (1988). تاريخ مملكة الأغالبة. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- الطاهر أحمد الزاوي. (1970). ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلنهاية العهد التركي. بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر.
- شمس الدين ابي عبد الله المقدسي. (2003م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. (محمد أمين الضناوي، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. (2009). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي. عمان: بيت الأفكار الدولية.
- كارل بروكلمان. (1968). تاريخ الشعوب الإسلامية (المجلد 5). بيروت: دار العلم للملايين.
- لسان الدين محمد ابن الخطيب. (1956). اعمال الاعلام فيمين بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. بيروت: –.
- محمد بن أحمد ابو العرب القيرواني. (1986). طبقات علماء إفريقيا وتونس، تقديم وتحقيق علي الشابي. تونس: الدار التونسية.

2- المراجع

- احسان حقي. (1988). تونس العربية. بيروت: دار الثقافة.
- السيد عبد العزيز سالم. (1981). المغرب الكبير (العصر الإسلامي) دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية. بيروت: دار النهضة العربية.
- حسن إبراهيم حسن. (1991). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافى والاجتماعي (المجلد 13). بيروت: دار الجيل.
- حسن حسني عبدالوهاب. (1966). ورقات عن الحضارة العربية عن العربية بأفريقية التونسية. تونس: مكتبة المنار.
- رشيد عبدالله الجميلي. (1984). دراسات في تاريخ الخلافة العباسية. الرباط: مكتبة المعارف.
- زين الدين أبو حفص عمر ابن الوردي. (1970). تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق أحمد رفعت البدراوي. بيروت: دار المعرفة.

مجلة السلام العلمية
ISSN:2788-6336

- سعد زغلول عبدالحميد. (1979). تاريخ المغرب العربي. الاسكندرية: منشأة المعارف.
- عبد الوهاب ، حسن حسنى. (1373 هـ). خلاصة تاريخ تونس (المجلد 3). تونس: دار الكتب العربية.
- محمد زيتون (1988) القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية. القاهرة: دار المنار.
- محمود إسماعيل. (2000). الأغالبة 184هـ-296هـ سياستهم الخارجية. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية.
- مصطفى شاكر. (1973). دولة بني العباس . الكويت: وكالة المطبوعات.